

فِقْهُ الْفِتَنِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أخواتي الفاضلات، إليكم سلسلة تفاريغ من دروس أستاذتنا الفاضلة أناهيد السميري حفظها الله، وفق الله بعض الأخوات لتفريغها، ونسأل الله أن ينفع بها، وهي تنزل في مدونة (عِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ)

<http://tafaregdros.blogspot.com/>

تنبيهات هامة:

- منهجنا الكتاب والسنة على فهم السلف الصالح.

- هذه التفاريغ من اجتهاد الطالبات ولم تطلع عليه الأستاذة حفظها الله، أما الدروس المعتمدة من الأستاذة فهي موجودة في شبكة مسلمات قسم (شذرات من دروس الأستاذة أناهيد)

<http://www.muslimat.net/>

- الكمال لله عز وجل، فكتابه هو الكتاب الوحيد الكامل السالم من الخطأ، فما ظهر لكم من صواب فمن الله وحده، وما ظهر لكم فيه من خطأ فمن أنفسنا والشيطان، ونستغفر الله.. . والله الموفق لما يحب ويرضى.

بسم الله الرحمن الرحيم

اللقاء الثاني من فقه الفتن

(ألقي يوم الجمعة ٨/٣/١٤٣٢هـ)

عناصر الدرس:

- التقوى تستلزم الاستسلام للنصوص الصريحة وعدم تأويلها.
- صلاح الحكام وفسادهم تابعة لصلاح محكوميهـم وفسادهم ومن جنس أعمالهم.
- مسائل في الإنكار على الحكام.

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.
نحمده سبحانه وتعالى ونشكره أن مَنَّ علينا بالأمن والأمان، ويسّر التواصل وهذه الوسائل التي هي من فضله وحده لا شريك له، ونرجوه كما يسّرهما بين أيدينا أن يجعلنا ممن يستعملها في ما يرضيه، هو وليّ ذلك والقادر عليه سبحانه وتعالى.
مرّ معنا أمس الكلام حول **(موقفنا من الفتن)** وذكرنا في ذلك مجموعة قواعد، وقدّمنا بمقدمة في الكلام عن شرّ اللسان والكلام، ثم انتهى بنا المطاف للكلام حول كتاب الفتن في صحيح البخاري، وذكرنا جزءاً من النصوص التي تضبط لنا تصرّفاتنا ومشاعرنا؛ لأنّ الناس اليوم على حسب صلتهم بالموضوع تهيج مشاعرهم، ومن كان أمس يدُرّس كتاب الفتن ويدرّسه، قد يُفتن فلا يتحمّل معاني النصوص الصحيحة فيؤوّلها، ويُخرّج الأحوال التي هو فيها على مخرج مخالف للنصّ من أجل أن يعتذر عن أن يكون مطبّقاً لهذا النصّ.

المقصود أنّ النصوص صريحة، ندعوه سبحانه وتعالى أن يجعلنا ممن إذا ابتلي صبر، وإذا أنعم عليه شكر؛ فكوننا لما يأتي وقت الابتلاء -والنصوص محفوظة معروفة- نبذل جهودنا أن نخرج عن سنة النبي -صلى الله عليه وسلم-، ونجعل حالنا مخالفاً لحال النصّ، هذا بعينه الفتنة، المفتون أعظم فتنة هو: من جمع بين العلم وقبلة التقوى، أي: بين العلم ومتابعة الهوى.
ثم إنّ الأحكام ليست لنا، ثم أنّ النصوص في هذا الباب ليست ضمنية، ولا قابلة للتأويل، فهي من أصرح نصوص الشريعة.
مرّ معنا أمس نصوص صريحة لا تحتمل التأويل فيما يجب أن يكون عليه فهمنا واعتقادنا، فالنبي -صلى الله عليه وسلم- يقول: "إنكم سترون بعدي أثره وأموراً تنكرونها. قالوا: فما تأمرنا يا رسول الله؟ قال: أدوا إليهم حقهم، وسلوا الله حقكم".¹

فهذه منهجية بيّنة، تشخيص للحال في كلمتين، وعلاج في كلمتين.

أما تشخيص الحال: ف "أثرة"، والأثرة والاستئثار يدور حول الدنيا والاستئثار بالأموال، ومنع الناس حقوقهم، والمعاملة المتميّزة لهم دون الناس، وكل ما أردت أن تقولَه من الاستئثار بحقوق الخلق، يعني أن هذا حق للخلق هم يأخذونه يستأثرون به، هذا التشخيص الأول للحال.

التشخيص الثاني: "وأموراً تنكرونها" يعني في أمر الدّين، سأل الصحابة النبي -صلى الله عليه وسلم- فقالوا: "فما تأمرنا؟" لما يصبح الحال منكرات في الدّين، ويصبح الحال استئثار في الدنيا، ماذا يجب علينا أن نفعل؟

الحل: في كلمتين، ما هما؟ "أدوا إليهم حقهم، وسلوا الله حقكم".

"أدوا إليهم حقهم" وإنما هم عليكم فتنة، وإنما هم عليكم اختبار: هل أنتم تعاملون الله، أم تعاملونهم؟

¹ صحيح البخاري (٧٠٥٢).

"وسلوا الله حَقِّكم" أنتم لكم حق لا يُنكر، وهذا الحق الذي لا يُنكر سيعطيكم إياه الله عز وجل، لا تتصوِّروا أن دخولكم في الخلافات أو في المنازعات هو الذي سيأتي بحَقِّكم، إنما الحقيقة أن الذي سيأتي بحَقِّكم هو الله سبحانه وتعالى، لكن هذا لما يرى منكم أداء لحقوقهم.

ولهذا انظر إلى هذا الكلام من ابن القيم الذي يصف علاقة أولياء الأمور مع الناس، وكيف أن التفريط من الطرف الأول وهم (المحكومون) في أداء حقهم كان سبباً لأن يتلي الله -عز وجل- الخلق بمثل هؤلاء.

يقول ابن القيم: "وتأمل حكمته تعالى في أن جعل ملوك العباد وأمرآءهم وولائهم من جنس أعمالهم بل كأن أعمالهم ظهرت في صور ولاتهم وملوكهم [يعني عملك كأنه ظهر في صورة وليك]، فإن استقاموا استقامت ملوكهم، وإن عدلوا عدلت عليهم، وإن جازوا جارت ملوكهم وولائهم، وإن ظهر فيهم المكر والخداع فولائهم كذلك، وإن منعوا حقوق الله لديهم وبخلوا بها، منعت ملوكهم وولائهم ما لهم عندهم من الحق، وبخلوا بها عليهم، وإن أخذوا ممن يستضعفونه ما لا يستحقونه في معاملتهم، أخذت منهم الملوك ما لا يستحقونه وضربت عليهم المكوس [يعني الضرائب]، وكل ما يستخرجونه من الضعيف [أي: عامة الناس] يستخرجه الملوك منهم بالقوة، فأعمالهم ظهرت في صور عمالهم، وليس في الحكمة الإلهية أن يوَلَّى على الأشرار الفجار إلا من يكون من جنسهم".

هو يتكلم عن الأغلب، يعني إذا غلب الصلاح كان الولاية صالحين، إذا غلب الفساد كانوا من جنسهم.

قال: "ولمَّا كَانَ الصَّدْرُ الأوَّلُ خِيَارَ القُرُونِ وأبرها، كانت ولاتهم كذلك، فلمَّا شَابُوا -أي: دخلهم الشوب اختلطوا- شابت لهم الولاية، فحكمة الله تآبى أن يوَلَّى علينا في مثل هذه الأزمانِ مثل معاوية وعمر بن عبد العزيز، فضلاً عن مثل أبي بكر وعمر، بل ولاتنا على قدرنا، وولاية من قبلنا على قدرهم، وكل من الأمرين موجب الحكمة ومقتضاها، ومن له فطنة إذا سافر بفكره في هذا الباب، رأى الحكمة الإلهية سائرة في القضاء والقدر ظاهرة وباطنة فيه، فيأك أن تظن بظنك الفاسد أن شيئاً من أفضيته وأقداره عار عن الحكمة البالغة، بل جميع أفضيته تعالى وأقداره واقعة على أتم وجوه الحكمة والصواب، ولكن العقول الضعيفة محجوبة بضعفها عن إدراكها".^١

انتهى المقصود من نقل عن ابن القيم، سأنقل ما يشاهده عن ابن تيمية -رحم الله الجميع-:

يقول ابن تيمية: "إن مَصِيرَ الأمرِ إِلَى الملوكِ ونوَابِهِم مِنَ الولايةِ والقضاةِ والأمرآءِ لَيْسَ لِنَقْصِ فِيهِمْ فَقْطً، بَلْ لِنَقْصِ فِي الراعيِ والرعيَّةِ جَمِيعاً؛ فَإِنَّهُ كَمَا تَكُونُونَ يُوَلَّى عَلَيْكُمْ، وَقَدْ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَكَذَلِكَ نُؤَيِّ بِعَظْمِ الظَّالِمِينَ بَعْضًا﴾^٢،

^١ "مفتاح دار السعادة".

^٢ الأنعام: ١٢٩

وَقَدْ اسْتَفَاضَ وَتَفَرَّرَ فِي غَيْرِ هَذَا الْمَوْضِعِ مَا قَدْ أَمَرَ بِهِ النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مِنْ طَاعَةِ الْأُمَرَاءِ فِي غَيْرِ مَعْصِيَةِ اللَّهِ وَمُنَاصَحَتِهِمْ وَالصَّبْرِ عَلَيْهِمْ فِي حُكْمِهِمْ وَقِسْمِهِمْ^١.

تبيّن المقصود من كلامه أنه مطلوب منا أن **نعتقد أمرين**:

- أولاً: أن ما هو حاصل حولنا اليوم لا يتحمّل طرف واحد سببهُ، إنما نحن ندفع ثمن انتشار الفسق والفجور.
 - ثانياً: أن عدم قيامنا بالحقوق في خاصة أمرنا سببٌ لتسليط الله -عزّ وجلّ- علينا.
- هناك جملة مشهورة من كلام ابن الجوزي سأذكر جزء منها والباقي في موطنه..

قال ابن الجوزي: "إن جور الملوك نقمة من نعم الله تعالى".

المقصود أنه نوع من أنواع الجزاء.

اتفقنا أن حديث النبي -صلى الله عليه وسلم- الذي ورد في صحيح البخاري حدّد المرض وحدد العلاج:

المرض:

- "سترون بعدي أثرة" في أمر الدنيا.
- "وأمورا تنكرونها" في أمر الآخرة.

العلاج أيضاً من شقين:

- "أدوا إليهم حقهم" يعني بالسمع والطاعة وعدم الخروج عليهم والقيام بالوظائف.
 - "وسلوا الله حقكم" أيضاً هذه وظيفة علينا مبنية على اعتقاد أن الأمر أمر الله والمملك مملكه.
- فلو كان الإنسان في الفتن -سواء ضج بالبطالة والفقر، أو نقصّ عليه شأن من شؤون الدنيا، أو تبيّن لسبب أو لآخر أن فساداً أوقع خراباً في البلاد-، ما هو المطلوب بعدما تؤدّي إليهم حقهم في عدم الخروج، والقيام بوظائفك؟
- المطلوب: أن تجمع قلبك على الله، وأن تسأل مالك الملك الذي يؤتي الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء ويعزّ من يشاء ويدلّ من يشاء، تسألُهُ وأنت تعلم أنّه على كل شيء قدير أن يُعطيك حقك.
- قال ابن الجوزي رحمه الله: "إن جور الملوك نقمة من نعم الله، ونقم الله لا تُلاقى بالسيوف، وإنما تُتقى وتُستدفع بالدعاء والتوبة والإنابة والإقلاع عن الذنوب، إن نِقَمَ الله متى لُقيت بالسيوف، كانت هي أقطع"^٢.
- أي: كانت النقمة أسرع في الوقوع على الناس، فهذا ما نعتقده، وهذا ما يجب أن نفعله .

- ما نعتقده: أن الملك ملك الله.

- ما يجب أن نفعله: أن نسأل الله حقنا.

^١ "مجموع الفتاوى".

^٢ ذكره ابن الجوزي عن الحسن البصري في كتاب "آداب الحسن البصري وزهده ومواعظه".



— ما يُتداول بين الناس: أن هذا ضعف، أن هذا تخاذل، أن هذا سلبية..

المسألة تحتاج صبر على طاعة الله، عدم الاستجابة للهوى والحماس.

والنبي -صلى الله عليه وسلم- أيضاً في حديث ابن عباس يقول: "مَنْ كَرِهَ مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئًا فَلْيَصْبِرْ، فَإِنَّهُ مَنْ خَرَجَ مِنَ السُّلْطَانِ شَبْرًا مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً"^١، وقد اتفقتنا في اللقاء الماضي أن معنى "شبراً": كناية على أقل ما يكون من الخروج، ولو بأدنى شيء، ومعلوم أن هذه الكناية للمبالغة، من أجل أن تمنعنا من المخالفة. كيف سيخرج شبراً؟ أي سعي في حلِّ عقد البيعة التي حصلت لذلك الأمير ولو بأدنى شيء، وعلى هذا لا بد أن يكون الإنسان في حال الفتنة واعياً لمصائد الشيطان ومهالكه.

نتقل لجهة أخرى من النقاش:

سمعنا الأحاديث التي تأمرنا بالصبر، يأتي هنا سؤال عن أحاديث الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وكيف نترك الولاة ولا ننصحهم؟

نرتب مسألة الإنكار على ولي الأمر في أربعة نقاط:

١. النقطة الأولى: وجوب السمع والطاعة في غير معصية.

يجب علينا أن نسمع ونطيع في غير معصية، وإن جاروا وظلموا، وإن فسقوا وفجروا.

يقول الحسن البصري: "هؤلاء [أي: الأمراء] وإن رققت بهم الهماليج [نوع من الدواب العظيمة] ووطئ الناس أعقابهم [يعني من عظمتهم الناس يمشون وراءهم]، فإن ذلَّ المعصية في قلوبهم، إلا أن الحق ألزمتنا طاعتهم، ومنعنا من الخروج عليهم، وأمرنا أن نستدفع بالتوبة والدعاء مضرتهم، فمن أراد به خيراً [أي: من أراد الله به خيراً] لزم ذلك، وعمل به ولم يُخالِفْه"^٢.

ومر معنا في الأحاديث ما معنى أن تسمع وتطيع: أي مع الاستئثار يجب عليك طاعة ولي الأمر مادام أن لا معصية تُؤمر بها، وإن منعوا حقوقك. وقد ورد في صحيح مسلم ما يؤيد ما درسناه في صحيح البخاري عن هذا المعنى:

سَأَلَ سَلَمَةُ بْنُ بَزِيدٍ الْجُعْفِيُّ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- فَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ أَرَأَيْتَ إِنْ قَامَتْ عَلَيْنَا أُمَرَاءُ يَسْأَلُونَا حَقَّهُمْ وَيَمْنَعُونَا حَقَّنَا فَمَا تَأْمُرُنَا؟ فَأَعْرَضَ عَنْهُ، ثُمَّ سَأَلَهُ فَأَعْرَضَ عَنْهُ، ثُمَّ سَأَلَهُ فِي الثَّانِيَةِ أَوْ فِي الثَّلَاثَةِ فَجَذَبَهُ الْأَشْعَثُ بْنُ قَيْسٍ وَقَالَ: "اسْمَعُوا وَأَطِيعُوا فَإِنَّمَا عَلَيْهِمْ مَا حُمِّلُوا وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ"^٣.

^١ رواه البخاري (كتاب الفتن، باب قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَتْرُونَ بَعْدِي أُمُورًا تُنَكِّرُونَهَا، ٧٠٥٣)

^٢ "آداب الحسن البصري وزهده ومواعظه" لابن الجوزي.

^٣ رواه مسلم (كتاب الإمامة، باب فِي طَاعَةِ الْأُمَرَاءِ وَإِنْ مَنَعُوا الْحَقُّوقَ، ٤٨٨٨)

والمعنى أنّ الله تعالى حمّل الولاية وأوجب عليهم العدل بين الناس، فإذا لم يقوموا به، أثموا، وحمّل الرعية السمع والطاعة لهم، فإن قاموا بذلك، أثبوا عليه، وإلا أثموا.

٢. النقطة الثانية: ما حدود السمع والطاعة؟

أخرج مسلم في صحيحه عن حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ -رضي الله عنهما- قال:

"قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّا كُنَّا بِشَرٍّ، فَجَاءَ اللَّهُ بِخَيْرٍ فَنَحْنُ فِيهِ، فَهَلْ مِنْ وَرَاءِ هَذَا الْخَيْرِ شَرٌّ؟

قَالَ: نَعَمْ.

قُلْتُ: هَلْ وَرَاءَ ذَلِكَ الشَّرِّ خَيْرٌ؟

قَالَ: نَعَمْ.

قُلْتُ: فَهَلْ وَرَاءَ ذَلِكَ الْخَيْرِ شَرٌّ؟

قَالَ: نَعَمْ.

قُلْتُ: كَيْفَ؟

قَالَ: يَكُونُ بَعْدِي أُمَّةٌ لَا يَهْتَدُونَ بِهَدَايِي، وَلَا يَسْتَنْوْنَ بِسُنَّتِي، وَسَيَقُومُ فِيهِمْ رِجَالٌ قُلُوبُهُمْ قُلُوبُ الشَّيَاطِينِ فِي جُثْمَانِ إِنْسٍ!

قَالَ: قُلْتُ كَيْفَ أَصْنَعُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنْ أَدْرَكْتُ ذَلِكَ؟

قَالَ: تَسْمَعُ وَتُطِيعُ لِلْأَمِيرِ، وَإِنْ ضَرَبَ ظَهْرَكَ، وَأَخَذَ مَالَكَ فَاسْمَعْ وَأَطِع^١.

فتصوّر هذه الحال والني -صلى الله عليه وسلم- وصّف هؤلاء الأئمة بأنهم لا يهتدون بهدي النبي -صلى الله عليه وسلم- ولا يستنون بسنته، وهذا في غاية الضلال والفساد، ومع ذلك أمر النبي -صلى الله عليه وسلم- بطاعتهم في غير معصية، يعني إذا أمرك بمعصية لا تطعه، لكن إذا كان في حاله فاسقاً وفي تصريفه للأمر بعيداً عن الهدي وعلى غير سنة النبي -صلى الله عليه وسلم-، ولم يأمرك بمعصية، ما هو المطلوب منك؟ أن تطيع، حتى لو بلغ الأمر إلى ضررك وأخذ مالك، فلا يحملتك ذلك على ترك طاعتهم، لماذا؟ لأن فعلهم وجُرمهم سيحاسبون عليه أشد الحساب، لكن أنت لو قادت الهوى إلى مخالفة هذا الأمر الشرعي فلا سمعت ولا أطعت سيلحقك الإثم، وهذا ظلم، فاصبر واحتسب واسأل الله الفرج.

وقد قال الإمام أحمد: "اصبروا حتى يستريح برّ ويُستراح من فاجر"^٢، يعني اصبروا حتى يُزيله الله، وذاك الوقت برّ يستريح، ويستريح الناس من الفُجّار.

^١ رواه مسلم (كتاب الإمارة، باب الأمر بلزوم الجماعة عند ظهور الفتن وتحذير الدعاة إلى الكفر، ٤٨٩١)

^٢ رواه الحلال في السنة [١٣٢/١] وابن مفلح في الآداب الشرعية [٢٢١/١].

وقد ورد في صحيح مسلم قول النبي -صلى الله عليه وسلم-: "خِيَارُ أُمَّتِكُمُ الَّذِينَ تُحِبُّونَهُمْ وَيُحِبُّونَكُمْ وَيُصَلُّونَ عَلَيْكُمْ وَتُصَلُّونَ عَلَيْهِمْ وَشِرَارُ أُمَّتِكُمُ الَّذِينَ تُبْغِضُونَهُمْ وَيُبْغِضُونَكُمْ وَتَلْعَنُونَهُمْ وَيَلْعَنُونَكُمْ" قيل: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَلَا نُنَابِذُهُمْ بِالسَّيْفِ؟

فَقَالَ: "لَا مَا أَقَامُوا فِيكُمْ الصَّلَاةَ، وَإِذَا رَأَيْتُمْ مِنْ وَلَاتِكُمْ شَيْئًا تَكْرَهُونَهُ فَارْكُوهَا عَمَلَهُ وَلَا تَنْزِعُوا يَدًا مِنْ طَاعَةٍ"^١.
 وورد في صحيح مسلم: "مَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ، وَمَنْ يَعْصِنِي فَقَدْ عَصَى اللَّهَ، وَمَنْ يُطِعِ الْأَمِيرَ فَقَدْ أَطَاعَنِي، وَمَنْ يَعْصِي الْأَمِيرَ فَقَدْ عَصَانِي"^٢.

كل هذه الأحاديث في وجوب طاعة ولاة الأمر، وهذا كله مقيد بغير الأمر بالمعصية.

السؤال: إلى متى سيكون؟

الجواب كما في البخاري ومسلم في حديث عبادة بن الصامت: "دَعَانَا النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَبَايَعَنَا فَمَا كَانَ فِيهِمَا أَخَذَ عَلَيْنَا أَنْ بَايَعَنَا عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي مَنْشَطِنَا وَمَكْرَهِنَا وَعُسْرِنَا وَيُسْرِنَا وَأَثَرَةً عَلَيْنَا وَأَنْ لَا نُنَازِعَ الْأَمْرَ أَهْلَهُ، قَالَ: "إِلَّا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا عِنْدَكُمْ مِنَ اللَّهِ فِيهِ بُرْهَانٌ"^٣.

يعني لما ترى كُفْرًا بواحا ذاك الوقت يصح عدم الطاعة.

وانظر إلى موقف أبي ذر لما قدم على عثمان من الشام:

قَدِمَ أَبُو ذَرٍّ عَلَى عُثْمَانَ مِنَ الشَّامِ، فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، افْتَحِ الْبَابَ حَتَّى يَدْخُلَ النَّاسُ، أَتَحْسِبُنِي مِنْ قَوْمٍ يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ؟! يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ مُرُوقَ السَّهْمِ مِنَ الرَّمِيَةِ، ثُمَّ لَا يَعُودُونَ فِيهِ حَتَّى يَعُودَ السَّهْمُ عَلَى فُوقِهِ؟ هُمْ شَرُّ الْخَلْقِ وَالْخَلِيقَةِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْ أَمَرْتَنِي أَنْ أَفْعُدَ لِمَا قُمْتُ، وَلَوْ أَمَرْتَنِي أَنْ أَكُونَ قَائِمًا لَقُمْتُ مَا أَمَكَّنْتَنِي رِجَالِي، وَلَوْ رَبَطْتَنِي عَلَى بَعِيرٍ لَمْ أَطْلِقْ نَفْسِي حَتَّى تَكُونَ أَنْتَ الَّذِي تُطْلِقُنِي، ثُمَّ اسْتَأَذَنَهُ أَنْ يَأْتِيَ الرَّبْدَةَ، فَأَذِنَ لَهُ فَأَتَاهَا...^٤

وقد مر معنا أمس كلامه لَمَّا لقيه الركب من العراق وقالوا له: "اعقد لواء يأتوك الناس".

المقصد أننا سنسمع ونطيع ما دام لم نُؤَمَّرْ بمعصية، هذا حدّ السمع والطاعة، إذا أمرنا بمعصية لا نسمع ولا نطيع.

^١ رواه مسلم (كتاب الإمامة، باب خِيَارِ الْأَيْمَةِ وَشِرَارِهِمْ، ٤٩١٠).

^٢ رواه مسلم (كتاب الإمامة، باب وَجُوبِ طَاعَةِ الْأَمْرَاءِ فِي غَيْرِ مَعْصِيَةٍ وَتَحْرِيمِهَا فِي الْمَعْصِيَةِ، ٤٨٥٢).

^٣ رواه البخاري (كتاب الفتن، باب قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَتْرُونَ بَغْدِي أَمْوَالًا تُنْكِرُونَهَا، ٧٠٥٦) ورواه مسلم (كتاب الإمامة، باب وَجُوبِ طَاعَةِ الْأَمْرَاءِ فِي غَيْرِ مَعْصِيَةٍ وَتَحْرِيمِهَا فِي الْمَعْصِيَةِ، ٤٨٧٧).

^٤ صحيح ابن حبان (ذِكْرُ الْبَيَانِ بِأَنَّ عَلَى الْمَرْءِ عِنْدَ وُجُوعِ الْفِتَنِ السَّمْعَ، وَالطَّاعَةَ لِمَنْ وُلِيَ عَلَيْهِ، مَا لَمْ يَأْمُرْهُ بِمَعْصِيَةٍ).

٣. النقطة الثالثة: وردت نصوص كثيرة في الحث على إنكار المنكر، فكيف يكون إنكاره على الولاة؟

نعم وردت أحاديث صريحة صحيحة، منها قول النبي -صلى الله عليه وسلم-: ((مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ))^١ وهذا خطاب لجميع الأمة.

وقد قال ابن مسعود: "هلك من لم يعرف بقلبه المعروف والمنكر". قال ابن رجب: يعني يشير إلى أن معرفة المعروف والمنكر بالقلب هذا واجب، فرض لا يسقط عن أحد، فمن لم يعرفه هلك. هذه النصوص تدلّ على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ما هي الطريقة الشرعية للإنكار على الولاة؟

هذه الطريقة مبسطة مشروحة في كتب السنة:

- نبدأ بكلام ابن مفلح في "الآداب الشرعية" يقول: "وَلَا يُنْكَرُ أَحَدٌ عَلَى سُلْطَانٍ إِلَّا وَعَظًا لَهُ وَتَخْوِيفًا أَوْ تَحْذِيرًا مِنَ الْعَاقِبَةِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ".

- وقال ابن الجوزي: "الجائز من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مع السلطان: التعريف والوعظ، ويُمنع من قول: (يا ظالم، يا من لا يخاف الله!) فإن ذلك يحرك فتنة يتعدى شرها إلى الغير".

- أيضًا يذكر ابن نحاس في كتابه "تنبيه الغافلين" يقول: "ويختار الكلام مع السلطان في الخلوّة على الكلام معه على رؤوس الأشهاد بل يود لو كلمه سرًّا ونصحه خفية من غير ثالث لهم"، يعني المقصود أن الإنكار سيكون خاصًا. **من سيقوم بهذا الإنكار؟** لا بد أن يقوم به من العلماء والحكماء من يستطيعه.

وننقل هنا قصة يرويها الإمام أحمد -رحمه الله- عن شُرَيْحِ بْنِ عَبْدِ الحَضْرَمِيِّ وَغَيْرِهِ، قَالَ^٢:

جَلَدَ عِيَاضُ بْنُ غَنَمٍ صَاحِبَ دَارَا حِينَ فُتِحَتْ، [مدينة اسمها "دارا"، لما فُتحت عياض بن غنم مسك أمير دارا وجلده] فَأَغْلَظَ لَهُ هِشَامُ بْنُ حَكِيمٍ الْقَوْلَ حَتَّى غَضِبَ عِيَاضٌ، ثُمَّ مَكَثَ لِيَالِي، فَأَتَاهُ هِشَامُ بْنُ حَكِيمٍ فَأَعْتَدَرَ إِلَيْهِ، [يعني قائد الجيش عياض بن غنم فتح دارا وتولى شأنها، فجلد صاحب دارا، أتى من أنداده أو ممن معه (هشام بن حكيم) فأغظ له القول يعني وبّخه على أن فعل هذا الفعل، لأمه على أن جلد صاحب دارا، ثم بعد أيام اعتذر له أن وبّخه]

ثُمَّ قَالَ هِشَامٌ لِعِيَاضٍ: أَلَمْ تَسْمَعْ النَّبِيَّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَقُولُ: "إِنَّ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ عَذَابًا أَشَدَّهُمْ عَذَابًا فِي الدُّنْيَا لِلنَّاسِ؟"^٣ [يعني هشام بن حكيم يريد أن يبيّن لعياض بن غنم سبب وعظه له بالشدة وأنه ما وعظه بهذا الوعظ إلا لأنه يخاف عليه لأنه أشد الناس عذابًا أشدهم عذابًا للمؤمنين]

^١ رواه مسلم (كتاب الإيمان، باب بيان كَوْنِ النَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ مِنَ الْإِيمَانِ وَأَنَّ الْإِيمَانَ يَزِيدُ وَيُنْقُصُ وَأَنَّ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاجِبَانِ، ١٨٦)

^٢ "المسند" (٤٠٤/٣).

^٣ صححه الألباني رحمه الله في "السلسلة الصحيحة".

فَقَالَ عِيَّاضُ بْنُ عَنِمٍ: يَا هِشَامُ بْنُ حَكِيمٍ، قَدْ سَمِعْنَا مَا سَمِعْتَ، وَرَأَيْنَا مَا رَأَيْتَ، [أي: كنا معك نسمع ونرى] أَوْلَمَ تَسْمَعُ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَقُولُ: "مَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْصَحَ لِسُلْطَانٍ بِأَمْرٍ، فَلَا يُبْدِ لَهُ عَلَانِيَةً، وَلَكِنْ لِيَأْخُذَ بِيَدِهِ، فَيَخْلُوَ بِهِ، فَإِنْ قَبِلَ مِنْهُ فَذَاكَ، وَإِلَّا كَانَ قَدْ أَدَّى الَّذِي عَلَيْهِ لَهُ"^١. وهذا الحديث صححه الألباني رحمه الله.

وَمِنْ هُنَا نَعْلَمُ أَنَّهُ يَجِبُ أَنْ يُنَاصِحَ وِلي الأَمْرِ، لَكِنْ مِنْ يَنْصَحُهُ؟ وَكَيْفَ يَنْصَحُهُ؟

هَذَانِ هُمَا السُّؤَالَانِ اللَّذَانِ افْتَرَقَ النَّاسُ فِيهِمَا إِلَى فَرِيقَيْنِ:

- مِنْ عِنْدِهِمْ فَكْرُ الخَوَارِجِ يَنْصَحُونَ عَلَى المَنَابِرِ أَوْ عَلَى صَفْحَاتِ الإِنْتَرْنِتِ أَوْ فِي المَجَالِسِ.

- وَرَوَافِضُ يَعْتَقِدُونَ قُدْسِيَّةَ وِلي الأَمْرِ وَأَنَّهُ لَا خَطَأَ يَرْتَكِبُهُ.

وَلَا هَذَا عِتْقَادُنَا وَلَا هَذَا عِتْقَادُنَا، عِتْقَادُنَا: أَنَّ وِلي الأَمْرِ مِنْ جَمَاعَةِ المُسْلِمِينَ، يَجِبُ عَلَيْنَا نَصَحُهُ، وَلَا بَدَّ أَنْ يَكُونَ هُنَاكَ مِنَ العُلَمَاءِ مَنْ يَقُومُ بِالأَمْرِ بِالمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ المُنْكَرِ، وَلَا بَدَّ أَنْ يَخْتَارَ الطَّرِيقَ الَّتِي تَنَاسَبُ.

وَقَدْ مَرَّ مَعَنَا مَوْقِفَ أَبِي بَكْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:

عَنْ زِيَادِ بْنِ كُسَيْبِ العَدَوِيِّ قَالَ: كُنْتُ مَعَ أَبِي بَكْرَةَ تَحْتَ مَنْبَرِ ابْنِ عَامِرٍ وَهُوَ يَخْطُبُ وَعَلَيْهِ ثِيَابٌ رِقَاقٌ فَقَالَ أَبُو بِلَالٍ: انظُرُوا إِلَيَّ أَمِيرِنَا يَلْبَسُ ثِيَابَ الفُسَّاقِ!. فَقَالَ أَبُو بَكْرَةَ: اسْكُتْ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَقُولُ "مَنْ أَهَانَ سُلْطَانَ اللَّهِ فِي الأَرْضِ أَهَانَهُ اللَّهُ"^٢.

وَهُوَ سُلْطَانُ اللَّهِ فِي الأَرْضِ لِأَنَّ اللَّهَ أَعْطَاهُ المُلْكَ وَاخْتَبَرَهُ بِهَذَا المُلْكِ.

فالمَقْصُودُ أَنَّهُ لَا بَدَّ مِنْ أَمْرٍ بِمَعْرُوفٍ وَنَهْيٍ عَنِ المُنْكَرِ لَكِنْ بِالطَّرِيقَةِ الَّتِي أَمَرَتْ بِهَا الشَّرِيعَةُ.

وَقَدْ أَخْرَجَ البُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِمَا عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ أَنَّهُ قِيلَ لَهُ -فِي فِتْنَةِ عُثْمَانَ- أَلَا تَدْخُلُ عَلَى عُثْمَانَ فَتُكَلِّمُهُ؟ فَقَالَ: "أَتُرُونَ أَنِّي لَا أَكَلِّمُهُ إِلَّا أَسْمِعُكُمْ؟! وَاللَّهِ لَقَدْ كَلَّمْتُهُ فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَهُ مَا دُونَ أَنْ أَفْتَحَ أَمْرًا لَا أَحِبُّ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ فَتَحَهُ..."^٣.

والمَقْصُودُ أَنَّ المِجَاهِرَةَ بِالإِنْكَارِ عَلَى الأَمْرَاءِ فِي المَلَأِ أَمْرٌ يُخْشَى عَاقِبَتَهُ، وَهَذَا مَا حَصَلَ لَمَّا أَنْكَرَ عَلَى عُثْمَانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ جَهَارًا أُمُورًا أَفْزَيْتَ عَلَيْهِ، نَشَأَ عَنِ ذَلِكَ قَتْلُهُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ!

وَقَدْ ذَكَرَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ سُئِلَ عَنِ أَمْرِ السُّلْطَانِ بِالمَعْرُوفِ وَنَهْيِهِ عَنِ المُنْكَرِ فَقَالَ: "إِنْ كُنْتَ فَاعِلًا وَلَا بَدَّ ففِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ"^٤.

^١ صححه الألباني رحمه الله في "ظلال الجنة في تخریج السنة لابن أبي عاصم".

^٢ رواه الترمذي (كتاب الفتن، من أهانَ سُلْطَانَ اللَّهِ فِي الأَرْضِ أَهَانَهُ اللَّهُ، ٢٣٨٨) صححه الألباني.

^٣ رواه البخاري (كتاب الفتن، باب الفتن التي تموج كموج البحر، ٧٠٩٨)، ومسلم (كتاب الزهد والرقائق، باب عُثُوبَةُ مَنْ يَأْمُرُ بِالمَعْرُوفِ وَلَا يَفْعَلُهُ وَيَنْهَى عَنِ المُنْكَرِ وَيَفْعَلُهُ، ٧٦٧٤).

^٤ رواه ابن أبي شيبه، والبيهقي في "الشعب".

أخرج الإمام أحمد رحمه الله بسنده:

حَدَّثَنِي سَعِيدُ بْنُ جُمَهَانَ قَالَ : أَتَيْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي أَوْفَى وَهُوَ مَخْجُوبُ الْبَصَرِ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، قَالَ لِي : مَنْ أَنْتَ؟ فَقُلْتُ : أَنَا سَعِيدُ بْنُ جُمَهَانَ، قَالَ : فَمَا فَعَلَ وَالِدُكَ؟ قَالَ : قُلْتُ : قَتَلْتَهُ الْأَزَارِقَةُ [وهم فرقة من الخوارج]، قَالَ : لَعَنَ اللَّهُ الْأَزَارِقَةَ، لَعَنَ اللَّهُ الْأَزَارِقَةَ، حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَنَّهُمْ كِلَابُ النَّارِ، قَالَ : قُلْتُ : الْأَزَارِقَةُ وَحَدَهُمْ أَمْ الْخَوَارِجُ كُلُّهَا؟ قَالَ : بَلِ الْخَوَارِجُ كُلُّهَا. قَالَ : قُلْتُ : فَإِنَّ السُّلْطَانَ يَظْلِمُ النَّاسَ، وَيَفْعَلُ بِهِمْ، قَالَ : فَتَنَاوَلْ يَدِي فَغَمَزَهَا بِيَدِهِ غَمَزَةً شَدِيدَةً، ثُمَّ قَالَ : وَيَحَكَ يَا ابْنَ جُمَهَانَ عَلَيْكَ بِالسَّوَادِ الْأَعْظَمِ، عَلَيْكَ بِالسَّوَادِ الْأَعْظَمِ، إِنْ كَانَ السُّلْطَانُ يَسْمَعُ مِنْكَ، فَأْتِهِ فِي بَيْتِهِ، فَأَخْبِرْهُ بِمَا تَعْلَمُ، فَإِنْ قَبِلَ مِنْكَ، وَإِلَّا فَدَعُهُ، فَإِنَّكَ لَسْتَ بِأَعْلَمَ مِنْهُ"¹.

والمقصود أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يُخالف السمع والطاعة، لكن ما الطريقة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟ الآن أستمثت وسائل حديثة يمكن بها أن يكون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا تفتأ، منها البرقيات، منها الرفع لمن تعلم أنه أقرب ويسمع، ثم أنت أملك باب الله مفتوح سبحانه وتعالى.

٤. النقطة الرابعة والأخيرة: مع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا بد من الصبر على جور الأئمة.

يمكن أن يقع جور وظلم وأثرة، ويجب علينا أداء الحق والسمع والطاعة بالمعروف، ويجب علينا عدم الخروج، ويجب علينا أن نتعبد الله بعبادة الصبر.

جاء في "الشریعة" للآجري: عن عمرو بن يزيد أنه قال:

سَمِعْتُ الْحَسَنَ أَيَّامَ يَزِيدَ بْنِ الْمُهَلَّبِ، قَالَ : وَأَتَاهُ رَهْطٌ [يزيد بن المهلب يشبه الحجاج، والحسن البصري أتاه جماعة يريدون الخروج فماذا قال لهم؟]، فَأَمَرَهُمْ أَنْ يَلْزَمُوا بُيُوتَهُمْ ، وَيَغْلِقُوا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَهُمْ ، ثُمَّ قَالَ : " وَاللَّهِ لَوْ أَنَّ النَّاسَ إِذَا ابْتُلُوا مِنْ قِبَلِ سُلْطَانِهِمْ صَبَرُوا مَا لَبِثُوا أَنْ يَرْفَعَ اللَّهُ ذَلِكَ عَنْهُمْ ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ يَفْرَعُونَ إِلَى السَّيْفِ فَيُوكَلُّوا إِلَيْهِ ، وَوَاللَّهِ مَا

جَاءُوا بِيَوْمٍ خَيْرٍ قَطُّ ، ثُمَّ تَلَا قَوْلَهُ تَعَالَى : ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا ﴾ ².

ومر معنا "إن جور الملوك نقمة من نعم الله، ونقم الله لا تُلاقى بالسيوف".

وكان الحجاج يقول لأهل العراق: "اعلموا أن كل ما أحدثتم ذنبا أحدث الله في سلطانكم عقوبة".

وقد قيل للحجاج إنك تفعل بأمة الرسول -صلى الله عليه وسلم- كيت وكيت، فقال "أجل إنما أنا نقمة على أهل العراق لما أحدثوا في دينهم ما أحدثوا وتركوا من شرائع نبيهم ما تركوا".

¹ رواه الإمام أحمد في مسنده، وصححه الوداعي في "الصحیح المسند مما ليس في الصحیحين".

² الأعراف: ١٣٧.

وقد سمع الحسن رجلاً يدعو على الحجاج، فقال له: "لا تفعل رحمك الله إنكم من أنفسكم أوتيتم، إنما نخاف إن عُزل الحجاج أو مات أن تليكم القردة والخنزير!"^١. لأنه كما ورد في الحديث: "لا يأتي عليكم زمانٌ إلا الذي بعده شرٌّ منه"^٢.

وقد أرسلَ أحد إلى بعض الصالحين يشكو جور العُمَّال، فكتب إليه هذا الصالح: "يا أخي وصلني كتابك تذكر فيه ما أنتم فيه من جور العمال وإنه ليس ينبغي لمن عمل بالمعصية أن ينكر العقوبة، وما أظن الذي أنتم فيه إلا من شؤم الذنوب!".

وهذا والله ما نراه أن كل ما نجدُه إنما نجدُه من ذنوبنا.

من ابتلي بولي أمر ظالم وهو من أهل الخير والصلاح، فليعبد الله عز وجل بالصبر، فإن الصبر والرضا بما قدره الله عبادة ترفع العبد منازل.

هذا ما تيسر ذكره في الكلام عن الفتن العظيمة التي تقصم ظهر المسلمين، أسأل الله عز وجل أن يكشف عنا الفتن و يردّ أهل الإسلام إلى دينهم، وأن يتولانا برحمته سبحانه وتعالى، وأن يجعلنا أهل تقوى لا أهل هوى.. والكلام لم ينته بعد والنقاش حول النصوص كثير، لكن فيما سمعناه غنية.

ألقاكم وقد انكشف عن المسلمين ما فيهم من بلاء، واجتمعت كلمتهم على الحق، ورفعت راية السنة وانكشفت الشبهة والبدعة، ففي وقت انتشار الفتن تحبو السنة وترتفع البدعة، وما هم أهل البدعة يستعدون للقيام ببدعتهم في المولد النبوي فماذا فعلنا لحفظ سنة النبي -صلى الله عليه وسلم- وكيف انشغلنا عن ما يجري؟!

نسأل الله أن يشغلنا طاعته وأن يجعلنا ممن حافظ على السنة ونشرها، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

^١ "آداب الحسن البصري وزهده ومواعظه" لابن الجوزي.

^٢ روا البخاري (كتاب الفتن، باب لا يأتي زمان إلا الذي بعده شر منه، ٧٠٦٨)